الباب الثانى

تفريج الكروب التى تحدث

فى محيط الأسرة

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسرة هى الوحدة البنائية للمجتمع، وتتوقف الحالة النفسية لأفرادها على هدوء البال وراحة الأحوال، ومع هذا فإن هناك من الشدائد والكروب، والأزمات والخطوب ما يحدث فى محيط أية أسرة فيعكر صفوها، وما لا يمكن معه أن يوجد للكثير من هذه المنغصات علاج عند الأطباء أو فى الصيدليات، وإنما يقتصر تفريجه على اللجوء إلى الله واستمطار رحماته بالضراعة والدعاء، كحالات البغضاء التى تحدث بين الزوجين، أو كالغيرة التى كثيراً ما تستبد بالعنصر النسائى، ولا يخلو منها بعض الرجال، وما إلى ذلك من بعض المواقف الطارئة التى قد تحدث لشك أو ريبة أو اتهام بالباطل، هذا فضلا عن حالات الفراق لطلاق أو ظهار، ومن الأمور المقلقة والمفزعة التى إذا خيمت على أية أسرة فإنها تسبب لطرفيها الكثير والكثير من المنغصات كحالات العقم عن الإنجاب، أضف إلى ذلك ما يسببه عقوق الأبناء للآباء من كروب مفزعة، وخطوب مقذعة، تستحيل معها الحياة جحيما فى كثير من الأحيان، ويأتى فى نهاية المطاف، وفى نهاية هذه القائمة من هموم الأسرة لوعة الفراق لزوج أو ولد.

ونحن نرى أن هذه الأمور جميعاً لا يُنْجى فيها حذر من قدر، ولاينفع فى تفريجه إلا التشبث بأهداب رحمة الله، واستمطار رحماته، واللجوء إليه عن طريق الدعاء؛ ولذلك فإننا نقدم لك - أخى القارئ - باقة طيبة من هذه المعالجات الواقعية لكثير من الحالات التى حدثت فى محيط الأسرة المسلمة والتى استطاع أصحابها - بفضل الله - التغلب عليها بواسطة الدعاء، واستحالت حياتهم إلى حياة سعيدة، بل إن سعادتهم بها قد أضحت أفضل من سعادتهم

بحياتهم السابقة عليها، لأنهم استشعروا فيها حلاوة المدد الربانى، فهم يعيشون لذة العطاء وهناءته وسعادته، نقدم ذلك لكى تنهج الأسرة المسلمة فى حاضرها ما نهجه الأولون فى ماضيهم، والله سبحانه وتعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

١- تفريج كرب العقم بالنسبة لنبى الله زكريا - عليه السلام

إن عاطفة الأبوة وغريزة الإنجاب من الصفات المركوزة فى أفراد عالم الإنسان، وذلك لما فيها من الحفاظ على النوع الإنسانى واستمراره واستقراره، ومما لاشك فيه أن عملية الإنجاب مرهونة بفترة زمنية من عمر الإنسان، فهى قد تطول فى الذكر وتقصر فى الأنثى، وإذا ما تعرض الزوجان لمثل هذه الحالة إذا ما تجاوزا هذه المرحلة بدون إنجاب، فإنهما يشعران بالكثير من الكروب والأزمات والشدائد النفسية، بدافع من الخوف على حمل اللقب، أو ميراث الثروة، وما إلى ذلك من مثل هذه الهواجس.

والأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - باعتبارهم أفراداً من البشر، الذين جعلهم الله قدوة لأممهم، يحدث لبعضهم من هذه الأمور ما يحدث لغيرهم، وذلك ليتأسى الناس بهم فى حسن تصرفهم فى مثل هذه المواقف.

ولقد تعرض سيدنا زكريا - عليه السلام - لكرب من هذا القبيل، وهذا النبى هو زكريا بن يوحيا الذى ينتهى نسبه إلى سليمان بن داود - عليهم السلام - فقد تعرض هذا النبى الكريم لهذه الحالة؛ حيث قد تجاوزت به السن، وتقدم به وبزوجه العمر، فتجاوز التسعين عاماً من عمره، وتجاوزت زوجه فترة اليأس من الإنجاب، حتى عُدَّت عاقراً، كل ذلك وهما راضيان بقضاء الله وقدره، يؤديان دورهما فى الحياة بكل هدوء واطمئنان، ويؤدى زكريا رسالة ربه بكل حزم، لايلوى على شئ إلا على ابتغاء مرضاة الله، ولقد شاءت الأقدار أن يضطلع بكفالة مريم البتول؛ فهى ابنة أخت زوجته، فكان يذهب إليها بطعامها فيجد

عندها قوتها طازجاً كل يوم، فكان يسألها قائلاً: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[1] فتجيبه قائلة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] فلما رأى أن الله يرزقها الفاكهة النضيجة فى غير حينها، فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء، تاقت نفسه إلى الإنجاب، وقال فى نفسه: إن الذى قدر على أن يفعل مع مريم هذا من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح لى زوجتى، ويهب لى ولدا على الكبر، وزكريا بطبيعة الحال لم يكن فى شك من ذلك؛ فتلك حقيقة يعلمها كل نبى ورسول، ولكن كما يقولون: إذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه؛ ولذلك فقد تحركت فى نفسه هذه الرغبة بقوة وإلحاح، أضف إلى ذلك أن أمر خلافته فى النبوة لبنى إسرائيل قد شغله شغلا عظيما، فما كان منه إلا أن طرق باب الكريم الوهاب، المعطى بلا أسباب عطاءه بالأسباب، فقال ما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2] كما شكا إلى الله ضعف قوته فقال ما حكاه القرآن كذلك: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3] وبهذا الدعاء الضارع، من هذا العبد الصالح، الذى شكا إلى الله حاله، فقد وهن عظمه، وشاب رأسه، وخشى انقطاع الرسالة من بعده، وقد جاء منه هذا الدعاء لربه خفية وسرا، فدعاء السر والمناجاة أرجى للقبول، وأبعد عن الرياء والسمعة.

ولقد تمثل تفريج كربه فى هذه البشارة السارة التى جاءه بها الملك: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[4]، ويقول الله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧.
(٢) سورة آل عمران : ٣٨.
(٣) سورة مريم : ٢ - ٦.
(٤) سورة آل عمران : ٣٩ :

﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[1]، فما كان منه إلا أن: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[2]، وليس فى هذا السؤال فى حد ذاته شك فى حدوث الإنجاب، ولكنه استفهام عن الكيفية التى سيتم عن طريقها الإنجاب، فكأنه يقول: يارب: هل تجعلنى وامرأتى شابين قادرين على الإنجاب؟ أم أننا سننجب مع كبرنا؟ أم أنك سترزقنى الولد من زوجة أخرى غير زوجتى هذه؟ وكانت الإجابة الشافية والكافية من الله له بأنه سبحانه يفعل ما يشاء، فقد وهبه الله الغلام الطيب الذى قرت به عينه، وأصلح الله له زوجه ليكونا فى دنيا الناس آية تذكرها الأجيال بالخير والبركة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[3].

٢- تفريج كرب السيدة فاطمة عندما غاب عنها الحسن والحسين

السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - هى بضعة المختار ﷺ وقد رزقها الله بسيدنا الحسن وسيدنا الحسين - رضى الله عنهما - ولقد كان النبى ﷺ يحبهما حبًّا جمًّا، وكان بين ولادتهما فارق زمنى يقدر بعام؛ فقد وُلد الحسين بعد حول من مولد الحسن، ومما يدلنا على عظيم منزلة هذين السيدين ورفيع مكانتهما ما رواه لنا حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - حيث قال: رأيت رسول الله ﷺ آخذا بيد الحسين بن على وهو يقول: «**أيها الناس: هذا حسين بن على فاعرفوه، فوالذى نفسى بيده لجد الحسين أكرم على الله من جد يوسف ابن يعقوب، هذا الحسن جده فى الجنة، وأبوه فى الجنة، وأخوه فى الجنة، وهو فى الجنة**» ولقد كان الحسين أحب إلى رسول الله

(١) سورة مريم : ٧.
(٢) سورة آل عمران : ٤٠.
(٣) سورة الشورى : ٤٩ ، ٥٠.

ﷺ من أهل بيته جميعا، لا يدانيه فى هذا الحب أحد إلا أخوه الحسن، ولقد حدث ذات مرة أن كان الحسين والحسن يصطرعان، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**وَيْهًا يا حسن**» وكلمة «ويها» كلمة تحريض على الفعل، فقالت السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - : يارسول الله لم لاتقول: ويها ياحسين؟ فقال النبى ﷺ: «**إن جبريل - عليه السلام - يقول : ويها ياحسين**» فابتسمت الزهراء حين عرفت ذلك، والحديث عن حب هذين السبطين، وقربهما من رسول الله ﷺ يطول.

ولقد تعرضت السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - لموقف من مواقف الشدة والكرب، ونحن نترك سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - يروى لنا وقائع هذا الموقف وكيف جاءها من الله الفرج، فيقول: «كنا مع رسول الله ﷺ وإذا بفاطمة - رضى الله عنها - قد أقبلت تبكى، فقال لها النبى ﷺ: «**ما يبكيك لا أبكى الله لك عينا**» فقالت: يا أبت : إن الحسن والحسين قد ذهبا منذ اليوم ولم أعلم أين ذهبا، وإن عليا مشى على الدابة منذ خمسة أيام ليسقى البستان، وقد استوحشت لهما، فقال النبى ﷺ : **لاتبكي؛ فإن خالقهما أَلْطفُ بهما منى ومنك**. ثم قال لأبى بكر: اذهب فاطلبهما, وأنت ياسلمان ، فلم يزل يوجه حتى مضت طائفة فى طلبهما، فرجعوا ولم يصيبوهما، فاغتم النبى ﷺ ثم قام ووقف على باب المسجد وقال: إلهى بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفوتك، إن كان قرتا عينى فى بر أو بحر أو سهل أو جبل فاحفظهما وسلمهما لأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين، فنزل الأمين جبريل وقال: السلام عليك يارسول الله، الحق يقرئك السلام، ويقول لك: لاتحزن، ولاتغتم، الغلامان هما الفاضلان فى الدنيا والآخرة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما فى حديقة بنى النجار، وقد وكلت بهما ملكا يحفظهما إن قاما أو قعدا، أو ناما أو استيقظا. ففرح النبى ﷺ فقام ومعه أصحابه حتى دخل الحديقة فوجدهما نائمين، فجثا (أى نزل على ركبتيه)

النبى ﷺ على ركبتيه، وانكب عليهما يقبلهما ويقول: حبيبىَّ، حبيبىَّ، حتى استيقظا، فحملهما النبى ﷺ على كتفيه، الحسن على عائقه الأيمن، والحسين على عاتقه الأيسر، وكان يقول كلما قبلهما: «**من أحبكما فقد أحبنى، ومن أبغضكما فقد أبغضنى**» **فقال أبو بكر - رضى الله عنه:- أعطنى أحمل أحدهما يارسول الله، قال النبى ﷺ: «نِعْمَ الْمَطِىُّ مَطِيُّهُمَا، ونعم الراكبان هما»**، ولم يزل النبى ﷺ سائرا بهما حتى دخل المسجد، وبعث بهما إلى ابنته، فأخذتها الفرحة وتولاها السرور».

وبهذا فقد فرج الله كرب الزهراء، ورد إليها ابنيها الكريمين، ببركة دعوة الرسول الأمين، واستجابة من الله العلى القدير.

تقول أسماء بنت عميس - رضى الله عنها -: بعد حول من مولد الحسن ولدت السيدة الزهراء الحسين، فجاء النبى ﷺ فقال: يا أسماء هات ابنى فدفعته إليه ﷺ فى خرقة بيضاء، فاستبشر به، وأذن فى أذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى، ثم وضعه فى حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت: فداك أبى وأمى، مم بكاؤك؟ قال: على ابنى هذا، قلت: إنه ولد الساعة، قال يا أسماء: تقتله الفئة الباغية، لا أَنَالَهُمُ الله شفاعتى.

٣- تفريج كرب المهاجرة بدينها
(أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط)

إن مُفارقات هذه الحياة كثيرة ومتنوعة، فهذه فتاة تدعى «أم كلثوم» ووالدها هو «عقبة بن أبى معيط» كافر مشهور بكفره وبعدائه للإسلام وللمسلمين، وأخواها هما «عمارة» و «الوليد» يقيمان على الكفر الذى يقيم عليه أبوهما، أما أم كلثوم، فقد شاءت لها الأقدار أن يخالط الإيمان بالله شغاف قلبها، ولقد شكل لها هذا الجو الذى تقيم فيه بمكة شدة وكربا عظيما، فهى تخفى إيمانها عن أهلها، فقد أسلمت بمكة قبل الفتح، وقبل صلح الحديبية، فخشيت على

نفسها من بطش أهلها إذا علموا بإسلامها، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة والمؤمنون بالله معه ازدادت أشواقها للعيش الكريم والحياة الحرة فى رحابه بالمدينة المنورة، ولكن كيف السبيل لذلك، والمسافة شاسعة، والأخطار محدقة بها من كل جانب؟!!

فما كان منها إلا أن فكرت وقدرت، واستخارت الله واستشارته، فهداها رب العالمين لهجرة متميزة وممتازة، إنها هجرة فتاة فى ريعان الشباب وفى مقتبل العمر، بدأت رحلتها هذه وحيدة فريدة، لا أنيس معها ولا معين إلا ما تحمله بين جنبيها من إيمان يتوهج فيعطيها ذلك المدد والسند، فتستعذب العذاب، وتستعلى على الصعاب، وقبيل بزوغ فجر إحدى ليالى مكة ما كان من هذه الفتاة إلا أن أسلمت نفسها للمجهول، ممتطية طرقات الصحراء الموحشة المقفرة، فهى تنقلب من ظلمة ليل إلى هجير نهار، إلى أن وصلت بحمد الله سالمة وأعلنت إسلامها من جديد بين يدى رسول الله ﷺ كما طلبت منه أن يحميها، فهى لاترغب فى العودة إلى أهلها ثانية، فهى تعلم أنهم ربما يتمسكون بشروط صلح الحديبية لاسترادها، وقد كان من بنود هذا الصلح: أن من جاء من مكة مسلما إلى المدينة فإن على رسول الله ﷺ أن يرده إلى أهل مكة، فلم يكد يمضى على إقامتها بالمدينة أيامٌ حتى جاء أخواها فى طلبها، ولك أن تعجب أيها القارئ العزيز من هذا الموقف، ومن تلك المواجهة التى يعجز عن تصويرها أى بيان، فلقد ازداد موقف هذه الفتاة حرجا، فلئن كانت قد اجتازت كثيراً من المخاطر التى تتهددها فى رحلتها، من نحو لحاق أهلها بها، أو من تعرض قطاع الطريق وشذاذ الآفاق، أو أن تضل فى مسالك الصحراء، ودروبها التى لا عهد لها بها ضلالا يودى بحياتها، فإنها اليوم قد أصبحت فى حكم العائدة لامحالة بمقتضى شروط صلح الحديبية، فها هى الآن فى مجلس يضُم أخوين يلمع الشر فى وجهيهما، وتغلى مراجل الانتقام فى قلبيهما، فيفكران فى كيفية الخلاص من هذه الصابئة عن دين أبيها

وأهلـها، فلئـن كانت قد نجت من الوأد فى حالة الصغر لسبب من الأسباب، فقد أصبحت مبررات الخلاص منها فى نظر أخويها وشيكة الحدوث. إنها فى وضـع لاتحـسد علـيه، ماذا تصـنع؟ بمـن تسـتنجد؟ إنها فى كنف رسول الله ﷺ وفى شرف ضيافته، ما كان منها إلا أن تقدمت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يارسول الله : إن عمارة والوليد قد جاءا لتنفيذ شروط صلح الحديبية، وهـذه الشـروط قاسـية على الرجال، أما النساء فما لهن من تحملها من نصيب، أى إن النسـاء لايقـدرن علـى ذلك، وهنالك يشير إليها النبى ﷺ أن تجلس دون أن يذكر لها أو لأخويها شيئا، فهو لايستطيع أن ينقض عهداً أبرمه على نفسه. . .

وهنا اشتد بها الكرب، وتكالبت عليها الهموم من كل جانب، ولم تجد من ملجأ إلا إلى الله، فقالت بصوت متهدِّج: «**يا أله، يامَنْ آمنت بك بظهر الغيب، ضراعتى إليك أن تنجينى**».

بهذه الكلمات الموجزات المرسلة، غير المنمقة، والتى خرجت من فمها إعلانا عن حالها، وترجمة لشدة كربها، ما لبثت أن تفتحت لها أبواب السماء، وجاءها الفرج القريب من الله المجيب، الذى أخبر بأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، فإذا بالأمين جبريل ينزل على قلب النبى الكريم بقول الله - تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

فما أن سُرِّى عـن رسـول الله ﷺ حتـى تبـددت مخاوفهـا، وأبدلهـا الله

(١) سور الممتحنة : ١٠.

بالشدة فرجاً، وبالعسر يسراً، وإذا بهذا البيان الربانى يأتى تتويجا لكفاح هذه الفتاة المسكينة، ويأتى ختاما طيبا لكل ما تحملته من مشقات فى سبيل عقيدتها الصادقة، وكأن الله قد كافأها على بطولتها الفذة، وشجاعتها النادرة بأن أجرى للأمة هذا الحكم على يديها، وليبين لنا أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فهذا القلب الطاهر، المفعم بالإيمان الصادق لفتاة أموية ترعرعت فى بيت يأخذ تقديسُ الأصنام فيه موقع الصدارة، يبين للدنيا أن الإيمان الصادق تنبت حباته فى جميع الأجواء، وأن عقبة بن أبى معيط وولديه عمارة والوليد قد ازدادت حسرتهم بهذه اللطمة، أضف إليها أن هذا الحكم الشرعى الذى حطم أغلال هذا القيد فى ذلك الصلح سيجعل هذه القصة تروى تلقائيا عند بيان هذا الحكم فى كل جيل وفى كل قبيل.

٤- فالله خير حافظا

لقد كان من عادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن يجلس فى مكان يراه الناس فيه، حتى يتمكن كل صاحب حاجة من الوصول إليه، والدخول عليه، وقد حدَّث زيد بن أسلم عن أبيه قال: بينما عمر بن الخطاب يَعْرض للناس إذ مرَّ به رجل معه ابن له يحمله على عاتقه، وكان عمر صاحب فراسة قوية، فنظر إلى الرجل، ونظر إلى الولد، فأدرك ما بينهما من تطابق فى الشبه، إنه تطابق شديد، فقال عمر قولته الشهيرة: ما رأيت غراباً بغراب أشْبَهَ من هذا بهذا؟!! أى: ما رأيت ولداً أشبه بوالده من هذا الولد بوالده، فتقدم الرجل إليه، وسلم عليه وقال: ياأمير المؤمنين: إن لهذا الغلام قصة غريبة عجيبة، فقد ولدته أمه وهى ميتة، فقال عمر: ويحك، وكيف حدث هذا؟! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين أثناء حمل أمه به خرجت مع المجاهدين فى بَعْث كذا وكذا مجاهداً فى سبيل الله، وكنت أود الإقامة مع زوجتى حتى

تضع حملها، ولكننى فضلت الاستجابة لداعى الله على البقاء معها، وقد شكل هذا الموقف لى نوعاً من الكرب، فهدانى الله - سبحانه وتعالى - إلى وضع هذه الوديعة عند الله، الذى لاتضيع عنده الودائع، ولايخيب الرجاء فيه، فما كان منى إلا أن تضرعت إلى الله قائلاً: «**اللهم إنى أستودعك ما فى بطنها**» ثم انطلقت مع المجاهدين، ولم أفكر فى هذا الأمر بعد، فوديعتى فى مكان أمين.

فلما فرغنا من هذه المهمة ورجعت إلى المدينة المنورة، إذا بى أمام موقف لا أحسد عليه، فلقد ماتت زوجتى قبل أن تضع حملها، وأسدل الستار عليها وعلى جنينها، ولكننى لم أفقد الأمل فى الله بعد، فخرجت إلى البقيع ذات ليلة، وجلست بعض الوقت مع ابن عم لى، فنظرت فإذا بى أرى ضوءاً يشبه المصباح فى المقابر، فقلت لابن عمى: ما هذا الضوء الذى نراه؟ قال: لاندرى، غير أننا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة، وهو قبر زوجتك، وهنا بدأت تباشير الفرح والفرج تلوح فى سماء نفسى، ولم يخامرنى شك فى أن هذا الضوء هو بشير خير لفك طلسم سر زوجتى وولدى، فأحضرت فأساً ثم انطلقت نحو القبر، فإذا بى أجد القبر مفتوحاً، وإذا بهذا الغلام وهو طفل فى حجر أمه، فدنوت منه، فنادانى مناد: «**أيها المستودع ربك : خذ وديعتك، أما إنك لو استودعت أمه لوجدتها**» فأخذت ولدى فى لهفة، فهو هدية من السماء إلىَّ، وبعد ما أخرجته انضم القبر.

ونظرا لغرابة هذا الحديث وتلك القصة، فإن أبا جعفر يقول: سألت عثمان بن زفر عن هذا الحديث، فقال: قد سمعته من عاصم بن محمد ابن زيد بن عبدالله بن عمر، وهو متَّفقٌ على توثيقه، وقد أخرجه له الجماعة.

أرأيت قارئى العزيز كيف تفعل الثقة بالله فعلها فى تفريج الكروب، وكيف

يصل التوكل على الله بصاحبه إلى حد إظهار الكرامات والآيات البينات؟!! فهذا الرجل الذى استودع الله ما فى بطن زوجته من ولد كان موفقا كل التوفيق؛ ذلك لأن الله هو خير الحافظين وهو أرحم الراحمين، وصدق الله إذ يقول: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١).

فالثقة بالله، والاطمئنان إلى موعوده، والعيش فى رحابه، وفى رحاب التسليم المطلق له يصنع بالعبد الأعاجيب، ويحقق له من الأمور ما لايقدر هو على تحقيقه لنفسه؛ ذلك لأن قوة العبد محدودة، وقوة الرب - عز وجل - ما لها من حدود، وليس عليها من قيود؛ فهى قدرة ذات طلاقة، فهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، وكل شىء أمام قدرته يسير، فما خَلْق النملة عنده بأيسر من خلق الفيل، فأمره فى كل شىء بين الكاف والنون.

فهذا درس طيب من دروس إجابة المضطرين يقتضينا أن نتعامل مع الله، وفى ملك الله، على هذا النحو من التسليم المطلق فى كل شىء، ففى الحديث القدسى: «**عبدى اطلبنى تجدنى، فإن وجدتنى وجدت كل شىء، وأنا أحب إليك من كل شىء وإن فُتِّنى فاتك كل شىء**».

حتى نسعد كما سعد هؤلاء الأخيار الأبرار، فذلك خير وأبقى للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المضعفون، واضعين فى اعتبارنا أن أمة الإسلام تحظى من الله بالخير العظيم، فإذا كان القرآن الكريم دستور هذه الأمة، قد جعله الله مهيمنا على الكتب السماوية السابقة عليه، فإن كرامات هذه الأمة مهيمنة على كرامات الأمم السابقة، فإذا كان هناك من الأنبياء والمرسلين السابقين من أحيا الموتى بإذن الله، فهذا واحد من أمة الحبيب أخرج الله له الحى من الميت بقدرته وعظمته، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) سورة يوسف : ٦٤.

٥- تفريج كرب يوسف - عليه السلام -

فى غيابة الجب

من الكروب التى كثيراً ما يتعرض لها الناس فى دنياهم تلك الكروب التى تنشأ من الغيرة، وبخاصة تلك التى تحدث بين الأهل والإخوان، فهى ليست بالأمور السهلة، ولا الكروب اليسيرة؛ ذلك لأنها إذا استحكمت فى النفوس، واستولت على مجامع القلوب، لاتلبث أن تؤجج فيها نيران الحسد، وكفى بنيران الحسد خطرا، إنها نيران باردة، ولكنها - والعياذ بالله - ساحقة ماحقة، تقضى على ما بين الناس من علائق الود والمحبة، فتجردها من كل مظهر كريم، وتعصف بها عصف النار فى الهشيم.

ولقد تعرض نبى الله يوسف - عليه السلام - فى باكورة صباه إلى لون من هذه الشدائد والضائقات، فلقد غار منه إخوته لأبيه، وكانوا أحد عشر رجلا، فحسدوه لمكانته المرموقة من الحب فى قلب أبيهم وأبيه، وكان من جراء ذلك أن وقعت تلك الأسرة فى سلسلة من الكروب المتلاحقة، التى يمسك بعضها بحجز بعض، والتى بدأت أولى حلقاتها بإلقاء يوسف فى غيابة الجب، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا، ولكى يكون فى ذلك عظة وعبرة لكل أب وأم كى يعدل فى حبه بين بنيه، وأن يحرص على المساواة بينهم فى كل شىء بقدر الطاقة والوسع حتى فى العواطف والميول، ما استطاع لذلك سبيلا.

ولك أن تعجب معى من أمر هذا الفتى الرسول!! الذى ما يزال ينظر إلى الدنيا بعينين ملؤهما براءة الأطفال، فوالده لايطيق فراقه ثانية من ليل أو من نهار، يتمثل كربه فى تلك النوايا السيئة التى يبيتها له إخوته، الذين كانوا أهل رعى فى البوادى والقفار، فيطلبون من أبيهم نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - أن يسمح لهم فى اصطحاب أخيهم يوسف إلى أماكن

الرعى، حيث الهواء الطلق، حتى يسرى عن نفسه باللهو واللعب والسمر معهم، كما حاولوا انتزاع الخوف من نفس أبيهم عليه من أذى الوحوش والسباع بأنهم عصبة من الرجال الأقوياء الأشداء، وأن أخاهم إن خلص إليه مكروه وهو معهم وفى صحبتهم فإن ذلك هو الضلال المبين، والعجز الواضح الفاضح.

فلما أذن لهم أبوهم باصطحاب أخيهم، خرج معهم يودعهم، وقلبه لايطاوعه، حيث قال لهم: «يابنىَّ: أوصيكم بتقوى الله، وبحبيبى يوسف، أسألكم بالله إن جاع فأطعموه، وإن عطش فاسقوه، وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه، وكونوا متواصلين متراحمين. قالوا: نعم يا أبانا، كلنا لك ولد، وهو أخونا كذلك كأحدنا، بل إن له الفضل علينا بحبك إياه، فقال: نعم يابنى، الله خليفتى عليكم، مع أنى خائف أن أكون قد ضيعته، ثم أقبل على يوسف فالتزمه وضمه إلى صدره، وقبَّل مابين عينيه، ثم قال: استودعتك الله ربَّ العالمين، ثم انصرف راجعا».

وانطلق يوسف مع إخوته، تراوده الأحلام العِذَاب، جَرْىٌ، لهو، لعب، فرح ومرح، وهناك فى البرية، وعلى مسافة تبلغ ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، إذا يهؤلاء الإخوة يكشرون عن أنياب الشر، ويظهرون ليوسف كل القسوة والغدر، من تلك التى تموج بها مراجل الحقد والحسد فى نفوسهم، وتتأجج نيرانها فى صدورهم، وهناك بدأت أحلام الفرح والمرح والسرور تتبخر من نفسه، وتنقشع سحائبها عن دنياه، ليجد نفسه فى وضع لايحسد عليه، فما كان من إخوته إلا أن ضربوه وعذبوه، فاستغاث بهم فلم يرحموه، وجاع وعطش فما سقوه ولا أطعموه، وطرحوا وصية أبيهم خلفهم ظهريا، وتنصلوا لعلاقة الأخوة بينهم فجعلوها نسيا منسيا، وأخيرًا وليس بآخر، فقد نفذوا أمرًا تحت جنح الظلام بيتوه، فعمدوا إلى بئر يقال له: «جُبُّ الأحزان»، وهو من الآبار القديمة العتيقة فى هذه المنطقة والذى يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد سام بن نوح، فألقوه فى

هذا الجب، وهو بئر مظلم موحش فى غاية السوء، أسفله واسع وأعلاه ضيق، ماؤه ملح أجاج، ويقع فى طريق القوافل بين مصر والشام، وتدل الأخبار على أن من يطرح فيه فإنه لاشك مفقود، وهيهات هيهات أن يرى للحياة أثراً، ولم يكتفوا بذلك كذلك، وإنما أخذوا يتشفون فيه قائلين: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تُلْبِسُكِ وتؤنسك!!.

إنهم بهذا يشيرون إلى الرؤيا التي رآها وأخبر بها والده، والتى يحكيها لنا القرآن الكريم فيقول: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَىَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[1] فما هى إلا برهة أو تكاد، وإذا بيوسف البرئ، وقد تقاذفته أيدى الشر إلى تلك الأغوار السحيقة، عريانا، وحيدًا، ظامئا وجائعا كذلك، وإذا بجيوش الهموم والغموم تزحف على نفسه من كل صوب وحدب، مع أول تجربة له فى البعد عن ساحة أبيه، ولكن جريا على سنة الله فى حفظ أهله ورعايتهم، إذا بالفرج ينشق وينبت من الضيق، فإذا بالجب يستضىء، وإذا بمائه الملح الأجاج يتحول بقدرة الله عذبا فراتا سائغا للشاربين، وإذا بملك يأتيه بسفرجلة من الجنة يطعمه إياها؛ لأن السفرجل يقوى القلب، ويدخل السرور على النفس، وكأن هذا الجب قد استحال روضة من رياض الجنة، كما استحالت من قبل النار على جده الخليل، وكما استحال تابوت الكليم وهو فى النيل، وظل عنده ملك يؤنس وحدته ووحشته طوال النّهار، فلما هم بالانصراف ليلا قال ليوسف: «إذا هِبْتَ شيئا، أو خفته على نفسك، فقل هذا الدعاء: **ياصريخ المستصرخين، ياغياث المستغيثين، يامفرج كرب المكروبين، قد ترى مكانى، وتعرف حالى، ولا يخفى عليك شىء من أمرى**».

(١) سورة يوسف: ٤، ٥.

فما كان من يوسف إلا أن دعا بهذا الدعاء فبعث الله إليه سبعين ملكا يحفون به، وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام، وبهذا فقد فرج الله عنه بعض همه، وأذهب عنه من الغم ماكاد يتقطع له نياط قلبه. . .

ومع هذا كله فما يزال لسان حاله يقول مقالة كليم الله موسى: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[1].

وفى اليوم الرابع جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال له: يا يوسف، أتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال: نعم، قال: فقل هذا الدعاء:

«اللهم يا صانع كل مصنوع، وياجابر كل مكسور، وياحاضر كل ملأ، وياشاهد كل نجوى، وياقريبا غير بعيد، ويامؤنس كل وحيد، وياغالبا غير مغلوب، وياعلام الغيوب، ويا حيًا لايموت، ويامحيى الموتى، لا إله إلا أنت سبحانك، أسالك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجا ومخرجًا، وترزقنى من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب».

ولقد تمثل تفريج كربه وإخراجه من الجب ونجاته من كيد إخوته فى ترديد هذا الدعاء المبارك، وآتاه ملْكَ مصر، وأوحى الله إليه وهو فى البئر: ﴿**لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾[2] فانظر يارعاك الله، وتأمل كيف يحوط الله عباده الصالحين بخفى ألطافه؟!! وكيف يكون فرجه لهم أرحب وأوسع من مضايق الشدة، وكيف تأتيهم المنح مغلفةً بالمحن؟!!

فاللهم انزع الغل والحقد والحسد من قلوبنا، واجعلنا إخوةً متحابين، وعلى طريق الخير متعاونين، يا أملنا إذا انقطعت الآمال، ويارجاءنا إذا عز الرجاء، وياغوثنا إذا انقطعت الأسباب، وحيل بيننا وبين الأهل والأحباب والأصحاب، إلا سببا موصولا بك وبرحمتك، يا عزيز ياوهاب.

(١) سورة القصص: ٢٤.

(٢) سورة يوسف: ١٥.

٦- تفريج كرب نبى الله يعقوب ـ عليه السلام ـ برَدّ وَلَـدَيْه إليه

من سنن الله الماضية فى أنبيائه ورسله أنهم دائما وأبدًا أهل تمحيص واختبار وتخليص، فالذهب النضار لايظهر للعين بريقه إلا إذا فُتِنَتّ خامته بالنار، فَنَدَرَ أن نجد فيهم واحدًا مرت حياته من الناحية النظرية فى راحة وهدوء بال، ولعل لله فى ذلك من الحكم ما يتلمسه الأتقياء من عباد الله والأخيار، من نحو اقتداء أممهم بهم، فلا تضعف عزماتهم أمام سلطان الباطل، فالمؤمن لايصيبه نصب ولا وصب، ولا أدنى أذى ـ حتى الشوكة يشاكها ـ إلا حَطَّ اللهُ بها من خطاياه.

وآل يعقوب ليسوا بِدْعًا فى ذلك كذلك، فقد كانت حياتهم سلسلة من هذه المواقف الشاقة، واللافت للنظر فى حياة هذه الأسرة أن الذى أوردها هذه المصاعب جميعًا إنما هو تسرب آفة الغيرة والحسد إلى نفوس بعض أفرادها، فهذا نبى الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بعد فقده ولديه: يوسف وبنيامين، إذا به يستسلم لأحزانه، حتى كُفّ بصره، وخارت قوته، ولكنه مع ذلك كله لم يفقد ثقته فى ألطاف ربه، فهو القائل: ﴿ **فصبر جميل** ﴾[1] وهو القائل: ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ السميع الْعَلِيمُ** ﴾[2]، ومع ثقته فى الله، وطمعه فى رحمة مولاه، إلا أنه كان كلما تذكر يوسف هاجت أحزانه، وقال: ﴿ **يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف: ١٥.

(٢) سورة يوسف: ٨٣.

(٣) سورة يوسف : ٨٤.

ولقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم تعط أمةٌ من الأمم عند المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون) إلا أمة محمد ﷺ ألا ترى قول يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع، وإنما قال: يا أسفا على يوسف؟!**».

ولقد أخرج الإمام النيسابورى عن عبد الله بن السمط قال: سمعت أبى يقول: «بلغنا أن رجلا قال ليعقوب: ما الذى أذهب بصرك؟ قال: حزنى على يوسف، قال: فما الذى قوَّسَ ظهرك؟ قال: حزنى على أخيه (أى بنيامين) فأوحى الله إلى يعقوبَ: يايعقوب أتشكونى؟ وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى، فقال عند ذلك: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾[1]، فأوحى الله إليه: وعزتى وجلالى لو كانا مَيِّتَيْنِ لأخرجتهما لك حتى تنظر إليهما».

وهنا نجد الأحداث متلاحقة، سريعة الخطى، حتى لقد عبر عنها يعقوب ـ عليه السلام ـ فقال: «إنا أهل بيت موكل بنا البلاء» فلما رجع أبناؤه إليه وأخبروه بأن ابنه بنيامين قد سَرَقَ، ما كان منه إلا أن كتب إلى عزيز مصر رسالة مطولة، بدأها بقوله: «من يعقوب إسرائيلُ الله، إلى عزيز مصر، المظهر العدل، والموفى للكيل، أما بعد: فإنا أهل بيت لانسرق، ولا نلد سارقا، فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من الولد؟ فلما قرأها يوسف بكى وعيل صبره (أى: نفد صبره)، وكشف لإخوته عن هويته، ثم إنه سأل إخوته عن أبيه، فقالوا له: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه وقال لهم: ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[2] قال السُّدى: قال يهوذا ليوسف: أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، فأعطنى اليوم قميصك لأخبره أنك حى فأفرحه كما أحزنته. قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسيج الجنة، وكان فيه ريح

---

(١) سورة يوسف: ٨٧.

(٢) سورة يوسف: ٩٣.

الجنة، وهو القميص الذى كُسِيَهُ الخليل حينما ألقى فى النار، وكسيه يوسف حينما ألقى فى الجب عريانا، لايقع على مبتلى ولاعلى سقيم إلا صح وعوفى، وهنالك أدرك يعقوبَ فرجٌ الله القريب، وآذنت رياح همومه بالمغيب، فقال: ﴿ **إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ** ﴾[1] فما هى إلا لحظة قصيرة من عمر الزمن، حتى وصل البشير ﴿ **فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[2] فاستشعروا الندم وطلبوا من أبيهم الصفح والغفران، فما كان منه إلا أن قام للصلاة فى سحر ليلة عاشوراء، ثم رفع يديه إلى الله - عز وجل - وقال: «اللهم اغفر لى جزعى على يوسف، وقلة صبرى عنه، واغفر لولدى ما جَنَوْهُ على أخيهم يوسف. فأوحى الله إليه: إنى قد غفرت لك ولهم أجمعين».

وعندما ضمهما اللقاء على أرض الكنانة وتعانقا وبكيا قال يوسف: يا أبت بكيت علىَّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيتُ أن تُسْلَبَ دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة.

٧- برُّ أبى هريرة بأمه

الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسى، الذى كنَّاه النبى ﷺ أبا هريرة، ينتهى نسبه إلى قبيلة «الأزد» أعظم وأشهر قبائل اليمن، وقد ولد ونشأ باليمن، وكان يرعى الغنم لأهله، وقد توفى والده وهو ما يزال صغيرًا، فنشأ لذلك يتيما، وقاسى شظف العيش، حتى مَنَّ الله عليه بالإسلام على يد الطفيل ابن عمرو الدوسى، فهاجر إلى المدينة، وصحب رسول الله ﷺ أربع سنوات فى حله وترحاله، وقد اتخذ من الصُّفَّة مُقَامًا له، كما جعله النبى ﷺ عريف أهل الصفة، فإذا أراد أن يجمعهم لطعام ونحوه فإنه يطلب من أبى هريرة أن يجمعهم؛ لأنه أعرف بهم وبمنازلهم، ولقد استفاد أبو هريرة من الدخول فى

---

(١) سورة يوسف: ٩٤.

(٢) سورة يوسف: ٩٦.

الإسلام، ومن صحبة النبى ﷺ فوائد جمة، فى دينه ودنياه، فى أولاه وأخراه، فمن ذلك أنه كان يُدْعَى فى الجاهلية «عبد شمس»، فلما اعتنق الإسلام سماه النبى ﷺ عبد الرحمن، ولقد كان يحب النبى ﷺ حبا جما، ويحفظ مايقوله عن ظهر قلب، وقد صبر على الفقر طويلا، حتى رزقه الله مالا وفيراً، وكان دائما وأبدًا يذكر أيام فقره، ويدعو الناس إلى الصبر والشكر، وقد ولاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على البحرين، وولاه معاوية بن أبى سفيان على المدينة فترة من الزمن.

وقد كان أبو هريرة يحب أمه حبا شديدًا، وكان يتمنى من كل قلبه أن يمن الله عليها بالهداية فتدخل الإسلام، فكان يدعوها إلى الإسلام، ولكنها كانت تأبى، فدفعه بره بها إلى عدم اليأس فى دعوته إياها للإسلام، بالرغم من أنها كانت تنهره وتزجره زجرا قاسيا عنيفا، فكان يلتمس لها فى ذلك الأعذار، ويعلل النفس بقول القائل: من جهل شيئا عاداه، ومن عاداه افترى عليه، ولكن الأمور قد تأزمت بينهما إلى حدّ لم يطق أبو هريرة أن يتحمله، بل إنه شكل له كربا وضيقا شديدًا، انهمرت معه دموعه على أثره، ولقد تمثل ذلك الكرب فيما رواه الإمام مسلم من أن أبا هريرة كان حريصًا على إسلام أمه، فدعاها للإسلام فأبت، وأسمعته مايكره فى حق النبى ﷺ فأتاه وهو يبكى، وقال: «إنما كنت أدعوها للإسلام فتأبى، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره» وإنما بكى أبو هريرة لذلك الموقف الغريب على نفسه، فهو يحب أمه، ويحب رسول الله حبا يفوق كل شىء، فإذا به يجد أحبَّ خلق الله إليه يناله السوء من أمه التى يرجو ببره لها الخير، ولو كان أحد غير أمه هو الذى فعل ذلك لسارت الأمور فى طريق آخر، ولكن هكذا يَصْهَرُ الإسلامُ أتباعه، حتى يصفيهم من الذاتيات والأنانيات، فيستعلى الواحد منهم على جراحه، أملا فى الفوز بالمقصد الأسنى.

وهنالك لاذ أبو هريرة برسول الله قائلا: ادع الله أن يهديها، فأجابه النبى إلى ما طلب وقال: «**اللهم أهد أمَّ أبى هريرة**» فخرج أبو هريرة من عند النبى ﷺ مستبشراً بهذا الدعاء الطيب، فما شك لحظة فى استجابته.

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الصحابى الجليل فيما كان من شأن أمه عندما رجع إلى منزله، حيث يقول: فلما أتيت الباب سَمِعَتْ أمُّه خشف (صوت) أقدامه فقالت: مكانك يا أبا هريرة، فسمعت صبَّها الماء، فاغتسلت ولبست درعها وخمارها، وفتحت لى الباب، فلما دخلت قالت: يا أبا هريرة إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فرجع أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ فرحًا وقال: أبشر يارسول الله، فقد أجيبت دعوتك، وهدى الله أمى للإسلام، ثم حمد الله وقال: يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال النبى ﷺ: «**اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك، وحببهم لهما**» فكان لايسمع به أحد ولايراه إلا أحبه.

وهكذا تأتى عاقبة الإخلاص فى الدعوة إلى الله، وتكلل المساعى الحميدة بالتوفيق والسداد والفلاح.

فياكل فتًى، وياكل فتاة، أمامكم برُّ أبى هريرة بأمه، إنه نموذج عملى فتمثلوه فى بر أهليكم، حتى تسعدوا وتسعد بكم الأوطان، اصحبوا الأخيار، وتجنبوا صحبة الأشرار، زينوا أنفسكم بمكارم الأخلاق، فأنتم معقد آمال أمتكم، فكونوا عند حسن الظن ،فها قد وضح الطريق، فسيروا على بركة الله والله يرعاكم.

٨ ـ تفريج كرب من له غائب

لقد وقع أحد سكان بغداد فى كرب عظيم، واسم هذا الرجل: خليل الصياد، ولقد تمثل كربه فى سفر ابن له إلى بلدة «الأنبار»، وقد غاب غيبة طويلة، وانقطعت معها أخباره عن أهله وعشيرته، حتى إن أمه قد حزنت عليه حزنا شديدًا، فلم يكن من أبيه إلا أن اتجه إلى رجل من الصالحين فى زمانه، واسم هذا الرجل الصالح «معروف الكرخى» وهو أحد العباد النساك، وأهل الصلاح والفلاح، فهو من أولئك الذين أجرى الله على أيديهم الخير الكثير لعباده فكانوا مفزع الخائفين، ونجدة للمكروبين، وكان يعمل مؤذنا، ولقد بلغ من صدقه مع ربه، وخوفه منه، أنه كان إذا قام يؤذن يقف شعر لحيته وصدغيه كأنه قد زرع، وكان مستجاب الدعوة.

فذهب خليل هذا إلى معروف وقال له: يا أبا محفوظ إنى أعرض عليك أمرًا أرجو الله أن يجعل تفريجه على يديك، إن ابنى قد ذهب إلى الأنبار ولم يعد، حتى انقطعت عنا أخباره، وقد وَجِدَتْ أمه عليه وجدًا شديدًا، وإنى أريد أن تدعو بدعوة صالحة يرده الله علينا ببركتها، فما كان من معروف ـ رضى الله عنه ـ إلا أن رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فردَّ هذا الولد إلى أبويه».

يقول خليل الصياد: فخرجت من عند معروف الكرخى، وأتيت باب الشام من بغداد، فوجدت عجبا لايقدر على فعله إلا الله ـ تعالى ـ لقد وجدت ابنى قائما بنهر فعانقته عناق الفرح، وسألته متى جئت؟ فقال لى: لقد جئت الساعة لتوى من الأنبار. فقد أجرى الله الخير على يدى هذا العبد الصالح، وفرج بدعائه كرب هذه الأسرة.

ونحن إذا ما تأملنا منهج حياة معروف هذا لوجدنا أن له منهجا طيبا وصادقًا فى التعامل مع الله ومع الناس، استحق يه أن يصل إلى مقام إجابة الدعاء، فقف معى متأملا وصيته هذه لأحد أصحابه، والتى يقول له فيها:

«توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت، حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الناس لاينفعونك ولا يضرونك، ولا يعطونك ولا يمنعونك، وخف الله تملأ مهابتك القلوب، وعليك بالصلاة فى وقت السحر، لكى تشهد لك الملأئكة، فوالله مانفع الصالحين مثل كثرة الأذكار والصلاة فى الأسحار، وأخرج الدنيا من قلبك، فلن تصح لك سجدة وحب الدنيا بين جوانحك».

٩ـ تفريج كرب أم سلمة لما مات أبو سلمة

لقد تعرضت الصحابية الجليلة أم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ لموقف صعب، وذلك حينما مات زوجها الصحابى الجليل أبو سلمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولقد كانت وفية له وفاء منقطع النظير، أحبته الحب كله، فهالَتْها لحظة الفراق، وكاد الأسى

يعصف بنفسها عصفا، فقد استشعرت تلبد سموات نفسها بغيوم وحدة لاطاقة لها بها، إنها لحظات تجل عن الوصف، ويقصر دونها تصوير البلغاء والفصحاء، ولكن اقتضت حكمة الله سبحانه ألا يترك أولياءه نهبا لهواجس الكروب والشدائد، وإنما ينزلهم من المنازل ما تقر به أعينهم؛ لكى يشهدوا بعين الحقيقة قدرة الله على دفع الشرور عنهم.

ولقد تمثل تفريج كربها فيما أورده الإمام ابن كثير عن أم سلمة قالت: أتانى أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولا سررت به، قال: «**لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيراً منها، إلا فعل ذلك به**» فما لبثت مليا إلا أن رددت هذا الدعاء وقالت: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[1]، واحتسبت زوجها عند الله فى الصادقين، ولاذت بالصبر الجميل، رجاء أن يمنحها الله إياه، ففى الحديث: «**ومن يتصبر يصبره الله**» ولكنها مع هذا التسليم والرضا قد خطر ببالها خاطر، حيث استغربت أو استبعدت أن تجد زوجاً خيراً من أبى سلمة، وفى هذا يقول ابن كثير: فقالت: مِنْ أين لى خير من أبى سلمة؟! ثم إنها أبعدت هذه الخواطر عن تعكير صفوها، واستغرقت فى إقبالها على الله - تعالى -...

وقد شاءت لها الأقدار أن يصدق عليها وفيها قول الرسول الكريم ﷺ حيث تقول: «فلما انقضت عدتى استأذن علىَّ رسول الله وأنا أدبغ إهاباً لى، فغسلت يديَّ من القرظ، وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبنى إلى نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يارسول الله: ما بى ألا يكون بك الرغبة، ولكنى امرأة فىَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى منى شيئا يعذبنى الله به، وأنا امرأة قد دخلت فى السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل، وأما ما ذكرت من العيال، فإنما عيالك عيالى، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ ثم قالت: أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٦.

١٠- تفرج كرب الصحابية التى مات ولدها الوحيد

إذا كانت الغربة - كما يقولون - كربة، فإن كربة الغربة تشتد على من يجد نفسه وحيدا فى أرض لم يعهدها، لاسيما إذا كان ذلك الغريب امرأة، ولقد بين لنا الصحابى الجليل أنس بن مالك - رضى الله عنه - لونًا من هذه الشدائد فيما رواه عنه الإمام البيهقى، فيروى أن إحدى الصحابيات المهاجرات قد انتابها شىء من هذه الشدائد، حتى إنها مثلت لها كرباً شديداً، ولقد تمثل هذا الكرب وتلك الشدة فيما كان من أمرها، حيث كان لها ولد، وكانت تهتم به وتعده لغد مُرتقب، حتى أدرك وبلغ سن الرشد، ولكنها فوجئت به وقد مرض فأصابه وباء بالمدينة، وهذا أمر قد حدث لكثير من المهاجرين الذين نشأوا فى جو مكة، وهذا الوباء هو عبارة عن نوع من الحميات، والذى أطلق عليه «حمى المدينة» أو «وباء المدينة».

مرض هذا الفتى عدة أيام، فما كان من أمه إلا أن جاءت به إلى رسول الله ﷺ وهو عند الصفة مع أصحابه، فتركت ولدها معهم، ولكن أجله قد حان، ففاضت روحه بعد أن تم تمريضه فى هذا المكان أياماً، فلما مات الفتى أغمض النبى ﷺ عينيه، وأحضر له جهازه من الكفن ونحوه، وقبل أن يتم تغسيله رأى النبى ﷺ أنه من الأوفق إعلام والدته بما حدث له، فقال لأنس: «**يا أنس إيت أمه فأعلمها**» فما كان منها إلا أن حضرت وهى تحمل على رأسها من هموم الدنيا ما لا طاقة لمخلوق على حمله، ولكنها مع كل هذا الكرب، ومع كل تلك الشدة لم تفقد ثقتها بالله، ولم تيأس من روحه ورحمته، فنظرت إلى ابنها وحيدها، وقد غطى النبى ﷺ وجهه بثوبه، فما كان منها إلا أن جلست عند قدمى ابنها المتوفى، فأخذت بهما، ثم رفعت وجهها وكفيها إلى السماء، وهتفت من أعماق نفسها بدعاء لم تتعلمه من أحد، وإنما ألهمها الله إياه، لكى تتضح حقيقة القرب من الله - تعالى - ولكى تتضح كرامة الصالحين عند الله، حتى ولو كان ذلك فى إجراء الخوارق للعادات، فقدرة الله لاحدود لها، ولا قيود عليها، فالله هو الفعال لما يريد، فقالت:

«اللهم إنى أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان زهداً، وهاجرت إليك رغبة، اللهم لاتشمت بى عبدة الأوثان، ولاتحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحمله» وحينئذ جاء الفرج القريب من الله المجيب، وحدث ما لم يكن يدور بخلد أحد أو يخطر على باله، يقول أنس: «فوالله ما انقضى كلامها حتى حرَّك قدميه، وألقى الثوبَ عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله، وحتى هلكت أمه، فكان ذلك كرامة لها، ومعجزة للنبى ﷺ حيث وقعت فى حضرته، ولواحد من أمته».

١١- السيدة عائشة وتفريج كرب الإفك

لقد تعرضت الصديقة بنت الصديق، السيد عائشة - رضى الله عنها - لحادث الإفك، وذلك فى السنة الخامسة من الهجرة، وفى أعقاب غزوة بنى المصطلق على أرجح الأقوال، فقد كان من عادة النبى ﷺ إذا أراد سفرًا أن يجرى القرعة بين نسائه، فأيتهن وقعت القرعة عليها خرج بها معه، وفى هذه الغزوة كانت القرعة لعائشة، فخرجت معه، بعدما أنزل الله الأمر بالحجاب، فلما فرغ الرسول من الغزو وقفل راجعاً آذن ليلة بالنزول للاستراحة حينما دنا من المدينة، فما كان من السيدة عائشة - رضى الله عنها- إلا أن قامت لحاجة لها حين آذنوا بالرحيل، حتى جاوزت الجيش، فلما قضت حاجتها أقبلت إلى رحلها، فلمست صدرها فإذا عقد لها من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت تلتمسه، فأبطأت فى طلبه، وجاء الأفراد المكلفون بحمل هودجها فوضعوه على راحلتها، ولم يشعروا بأنه ليس به أحد؛ لأن النساء آنذاك كُنَّ خفيفات الأوزان، وسار الجيش وترك موقع راحته، فجاءت ولم تجد هناك من أحد، فبحثت عن الموضع الذى كان فيه هودجها، ظنًّا منها أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها، فغلبها النوم فنامت.

وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرَّس وراء الجيش (أى بات خلف الجيش) فأدلج، فأصبح عند المكان الذى فيه عائشة، فرأى سواد إنسان نائم،

فأتاها فعرفها حين رآها؛ لأنه كان يراها قبل الحجاب، فأخذ يردد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فاستيقظت باسترجاعه، فَخَمَّرَت وجهها بجلبابها، ثم تقول عائشة: والله ما يكلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش، بعد ما نزلوا معرسين، قالت: فهلك فى شأنى من هلك، وكان الذى تولى كبر هذا الإثم «عبد الله بن أبى بن سلول» فقدمت المدينة، فاشتكيت بها شراً (أى المرض)، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك ولا أشعر، وكان الذى يريبنى فى وجهى أنى لا أرى من النبى ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» ثم ينصرف، فكان ذلك يريبنى منه، ولكن لم أكن أشعر بالشر حتى تماثلت للشفاء، فلما تبينت الخبر من أم مسطح ابن أثاثة ازداد ألمى، وازددت مرضاً على مرضى، فلما رجعت إلى بيتى، ودخل علىَّ رسول الله وقال: «كيف تيكم؟» فقلت: ائذن لى أن آتى أبوى، وأنا حينئذ أريد أن أستبين الخبر، فلما أتيتها وعلمت الخبر منها ظللت ثلاث ليالٍ أبكى، ولا أذوق نوماً ولا راحة.

ولنا أن نتصور الألم النفسى الذى خيم على بيت النبى ﷺ وبيت صديقه أبى بكر، وكذلك الألم الذى ألم بالصحابى الجليل «صفوان»، لقد كلف هذا الحادث أطهر النفوس فى تاريخ البشرية كلها آلامًا لا تطاق، وكلف الأمة الإسلامية كلها تجربة من أشق التجارب فى تاريخها الطويل، واستمر ذلك شهراً كاملاً، وتلك القلوب النقية تعيش آلام الشك والقلق، ومدافعة هذه الأهوال، حتى أنزل الله - سبحانه وتعالى - براءة هذه السيدة الفاضلة، وأعاد الاستقرار إلى هذه النفوس المعذبة.

ولقد تمثل تفريج كرب السيدة عائشة فيما يرويه لنا أنس - رضى الله عنه - فيقول: كنت جالساً عند عائشة - رضى الله عنها - أبشرها بالبراءة، فقالت: «والله لقد هجرنى القريب والبعيد، حتى هجرتنى الهرة، وما عُرِضَ على طعام ولاشراب، فكنت أرقد وأنا جائعة، فرأيت فى منامى فتى فقال: مالك؟ قلت:

حزينة مما ذكر الناس، فقال: ادعى بهذه الكلمات يفرج الله عنك، فقلت: وما هى؟ قال: قولى: «**ياسابغ النعم، ويادافع النقم، ويافارج الغمم، ويا كاشف الظلم، ويا أعدل من حكم، وياحسيب من ظَلَمَ، ويا ولىَّ من ظُلم، ويا أولا بلا بداية، ويا آخراً بلا نهاية، ويا من له اسم بلا كنية، اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً**» قالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة، وقد أنزل الله - تعالى - فرجى.

ولم تكن السيدة عائشة - رضى الله عنها - تشك - بينها وبين نفسها- لحظة فى البراءة، ولكن الذى كانت تشك فيه هو أن ينزل الله فى شأنها قرآنا يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كانت تتصور أن براءتها ستأتى فى صورة رؤيا يراها النبى ﷺ ولكن الذى اختارها لنبيه زوجة لم يكن ليخذله فيها، وإنما رد لها اعتبارها كأحسن ما يكون، فهو العليم بذات الصدور.

ومما يروى أن ميمونة - رضى الله عنها- أخذت تتحدث مع عائشة بعد براءتها فقالت لها: ماذا قلت حين ركبت ناقة صفوان؟ فقالت لها: قلت وأنا أهم بركوب هذه الناقة: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾(١)، فقالت لها: لقد دعوت بدعاء المؤمنين، فكم لهذا الدعاء من أسرار فى تفريج الكروب، فقد قاله الخليل حينما ألقى فى النار فصارت عليه برداً وسلاماً، وقاله محمد ﷺ فى بدر الصغرى، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم.

١٢- كرب الغيرة لدى النساء

إن النفس البشرية غريبة الأشكال، متعددة الأطوار، تنتابها أحاسيس الخير، كما تنتابها هواجس الشرور، وهى إذا ما تعرضت لنوازع الخير حينا، فقد تستبد بها هواجس الشرور والأخطار أحياناً كثيرة، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٢)، ويقول

(١) سورة آل عمران : ١٧٣.

(٢) سورة يوسف : ٥٣.

رسول الله ﷺ: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

والنساء بما حباهن الله من رقيق المشاعر، وجمِّ العواطف، فإنهن أشد عرضة لهذه التغيرات، وتلك التقلبات، ومن أظهر وأشهر ما تتعرض النساء له فى هذا الصدد موضوع الغيرة، وغالبا ما تكون الغيرة فى صورة خوف على الأزواج من أن يرتبط الزوج بامرأة أخرى، أو أن تحاول امرأة أخرى أن ترتبط بهذا الزوج، ومع كون هذا الأمر مشروعاً فى الإسلام، وهو المعروف بالتعدد إذا ما استوفى شروطه، إلا أن ذلك يسبب للزوجة الأولى نوعاً من الألم النفسى، وبخاصة إذا كانت حسنة العشرة لزوجها، وقد أطلقت الشريعة الإسلامية على الزوجة الثانية «الضرَّة»، لأنها تدخل الضرر على الزوجة الأولى، والغيرة إذا كانت فى حدودها المعقولة والمعتدلة بل والمتزنة فإنها ضرورية ومحمودة؛ لأنها تشكل لونا من ألوان التعاطف والترابط الأسرى، وتشعر أطراف هذه العلاقة بأهمية كل منهما للآخر، وحرصه على استمرار هذه العلاقة بصورة طيبة، ولكننا نرى فى كثير من الأحيان أن الغيرة قد تخرج عن حدودها المألوفة لدى بعض النساء، وقد تحدث عند الرجال كذلك، الأمر الذى يشكل لهن ولهم الضيق والألم بصورة تهدد سير العلاقات الأسرية بصفة عامة، فكثيراً ما نسمع عن بعض الأسر التى اشتعلت فيها نيران الغيرة، فشب فيها لهيب الدمار والخراب ـ والعياذ بالله - فوقعت الخلافات المستحكمة التى فككت الأواصر، وقوضت الدعائم، ونتج عنها من الفساد الاجتماعى ما لا تحمده عقباه.

ونحن نود أن نقدم هنا بعض النماذج التى يمكن أن نترسم خطاها، حتى نتغلب على تلك المشكلة عند حدوثها، والكيفية الصحيحة التى ينبغى أن يسير عليها من يجد فى نفسه شيئاً من ذلك الإحساس المدمر، أملا فى تخفيف حدتها، وكسر شدتها، حفاظا على استقرار البيوت، واستمرار العلاقات القائمة على المودة والرحمة والمحبة، فذلك خير وأبقى من الاسترسال فى هذه الهواجس النفسية، والاستماع لأقوال المرجفين، الذين ربما يشيرون بالتوجه إلى السحرة والمشعوذين الذين يزينون لهؤلاء الناس ما يتعارض مع الدين والقيم

والأخلاق فى كثير من الأحوال، كى يبتزوا ما فى جيوبهم من نقود، وفى النهاية لاجدوى من وراء هذه الترهات جميعاً.

١٣- دعاء نبوى لتفريج كرب غيرة إحدى النساء

طالعتنا السنة النبوية المطهرة، فيما رواه ابن السنى، عن ميمونة بنت أبى عسيب، أن امرأة من بنى حدس قد استبدت بها الغيرة، واشتعلت نيرانها بفؤادها، حتى شكل لها ذلك ما يشبه الأزمة النفسية، فارْتَحَلَتْ بَعِيرَها، وَجَدَّتْ فى المسير إلى رسول الله ﷺ فلما وصلت إلى هناك نادت السيدة عائشة - رضى الله عنها - قائلة: يا عائشة أغيثينى بدعوة من رسول الله ﷺ لتسكنينى بها، وتطمئنينى بها، فأخبرتها عائشة بما تعلمته من رسول الله ﷺ فى مثل هذا الشأن، فقالت لها: «**ضعى يدك اليمنى على فؤادك، فامسحيه وقولى: باسم الله، اللهم داوئى بدوائك، واشفنى بشفائك، وأغننى بفضلك عمن سواك، واحدر عنى أذاك**» وتقول هذه المرأة: لقد جربت هذا الدعاء فوجدته جيدا والحمد لله.

ونحن نرى أن هذه المرأة قد اتجهت الوجهة الصحيحة؛ حيث إنها لما استبدت بها هذه الهواجس وتلك الخواطر، فما كان منها إلا أن قصدت بيت النبى ﷺ ولما كان هذا الأمر من الأمور التى تتعرض لها النساء كثيراً فإنها طلبت من عائشة أن تغيثها بهذه الدعوة، فهى تعلم أن صيدلية الحبيب ﷺ لا يمكن أن تخلو من علاج لمثل حالتها، فما كان من عائشة - رضى الله عنها - إلا أن أغاثتها بهذه الدعوة النبوية المباركة، فما كادت المرأة تسمعها حتى حفظتها، وتوجهت بها فى صدق وتجرد إلى الله رب العالمين، فما كادت تفرغ منها حتى أحست برد السكينة والاطمئنان والاستقرار يسرى فى جنبات نفسها، فأصبحت ترى الدنيا بعينين غير اللتين كانت تراها بهما منذ لحظات، ولقد علقت على ذلك بقولها: «لقد جربت هذا الدعاء فوجدته جيداً والحمد».

١٤- تفريج كرب بغض الزوجة لزوجها

لقد أشار القرآن الكريم فى معرض الحديث عن الأسرة إلى أن المودة والسكن والرحمة التى يسبغها الله على كل من الزوجين هى من أهم وأبرز مكاسب هذه العلاقة، يقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١]، فكل هذه العوامل النفسية تدعو إلى التفاؤل والأمل، فضلا عن كونها تعين على الانطلاق والتقدم فى محيط العمل، ففى ظلها تتعدى علاقة الزواج مجرد الارتباط بين فردين، لتحقق الامتزاج بين نفسين وروحين، فلا تلبث أعلام السعادة، وبيارق الأمل أن ترفَّ على هذا البيت السعيد، فيمتلىء سرورًا وحبورًا.

ولكن عندما تتبدل الأحوال، وتظهر الغيوم فى سموات بعض الأسر، فقل على الدنيا العفاء، فإذا استحالت الرحمة والمودة بغضا وقسوة - والعياذ بالله - فإن ذلك كله ليشكل لتلك الأسرة كربا ثقيلاً تنوء الجبال الراسيات بحمله، وقد يحدث هذا لأسباب بعضها قد يكون ظاهراً للزوجين، ومشاهداً رأى العين، وبعضها الآخر قد لايعرف أى منهما له سببا، من نحو الحسد والنظرة وما إلى ذلك.

ونحن نسوق لك - أيها القارئ العزيز - هذا النموذج لنرى معًا كيف تم تفريج هذه الشدة التى مثلت كربا؟!

روى البيهقى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن امرأة وقعت فى كرب من هذا القبيل، حيث أدت الخصومة بينها وبينه إلى بغضه، فأتت النبى ﷺ تشكو زوجها، فقال لها النبى ﷺ: «**أتبغضينه؟**» قالت: نعم يارسول الله، بل إنها بالغت له فى بغضها لزوجها - على حد ما جاء فى رواية الطبرانى عن جابر - حيث قالت: «هذا زوجى، والذى بعثك بالحق ما فى الأرض أبغض إلىَّ منه»

(١) سورة الروم : ٢١.

فاستدعاه النبى ﷺ فقال الرجل : «هذه امرأتى، والذى بعثك بالحق ما فى الأرض أبغض إلىَّ منها» نعوذ بالله من ذلك، إنه بغض مستحكم متبادل، ولو لم يكن الأمر معروضاً على سيد ولد آدم لكان حكم التفريق بينهما أول ما يتبادر إلى أذهان المنصفين والعقلاء، فما كان من الصادق المعصوم ﷺ إلا أن أمرهما بالجلوس أمامه متواجهين، مشيرا عليهما بقوله الكريم : «**أَدْنيَا رءوسكما**» فوضع جبهتها على جبهة زوجها، ثم دعا الله قائلا: «**اللهم ألف بينهما، وحبِّب أحدهما إلى صاحبه**».

إنها كلمات من نور، ونفحات من طيب وعبير، سرت من فم رسول الله الطاهر، فانقشعت أمامها سحب العداوة والبغضاء التى ألمت بهذين الزوجين، فإذا بكل منهما ينظر إلى صاحبه نظرة الحب والود، والعطف والرحمة، فقد أعيدت صياغتهما نفسيا من جديد، فلم يفترقا من مجلس رسول الله ﷺ حتى قالت المرأة : والذى بعثك بالحق ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه، وقال الرجل: والذى بعثك بالحق ما خلق الله شيئا أحب إلىَّ منها. ثم إن النبى ﷺ رآها بعد فترة من الزمن فسألها قائلا: «**كيف أنت وزوجك؟**» قالت: والذى أكرمك، ما طارف ولا تالدٌ ولا والدٌ أحبَّ إلىَّ منه، فقال الرسول الكريم: «**أشهد أنى رسول الله**» وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه-: «وأنا أشهد أنك رسول الله».

فإلى كل أسرة مسلمة نزف هذه البشرى، إذا ما صدقت النوايا، وتدخل فى فض النزاع وحل الخلاف - أيا كان حجمه - أهل التقى والصلاح إلا زال الكرب، ففى القول المأثور، **اللهم لا كرب وأنت الربُّ**.

١٥- تفريج كرب الظهار
(خَوْلة بنْتُ ثعْلبَة)

إن «خَوْلةَ بنْتَ ثعلبة» هى زوجة «أوْس بن الصامت»، وقد كان رجلا به لَمَمٌ (أى : ضعف عقلى)، ولكنها كانت تحبه، وقد أنجبت منه أولاداً، فكانت تعمل لتعوله وتعول أولادها، وقد احتسبت أجرها على الله - تعالى - وكانت

حياتها تسير على هذه الوتيرة، ولكنها فى يوم من الأيام قد فوجئت بزوجها يكثر جدالها ويُغْلظ لها فى القول، حتى احتدم الجدال بينهما، وتصاعدت حَمِيَّةُ الغضب فى رأسه، فإذا به يصيح بأعلى صوته قائلاً: «أنت علىَّ كظهر أمى» وهنا تأزم الموقف وَوَجِمَتْ خولةُ، وانتابها من جراء هذه الكلمة هَمٌّ وغمٌّ عظيمان، فلا يدرى، بحالها إلا الله، وقد ضاعف من ضيقها وكربها أنها تعرف أن الظهار كان يعنى التحريم المؤبد بين الرجل وزوجته، كما هالها أن يكون أوس أول من يظاهر فى الإسلام، فلما هدأت النفوس من ثورتها، وظهر الندمُ على ملامح وجه أوس والإشفاق لما رأى من حال زوجته، إذ به يقول لها: ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ علىَّ؟!! ولكن خولة حملقت فيه بعينين تهميان بالدمع الغزير، وقد استشعرت مايتعرض له بيُتها وكيانها وحياتها وأولادها من هُوج العواصف، والرُّعود والقواصف، فقالت: إنك يا أوس ما ذكرت طلاقاً. . . . نعم، ولكننى ظاهرت، وإنى لنادم على ذلك، ومما زاد من كربها كذلك أن زوجها قد أبدى اعتذاراً عن سؤال رسول الله ﷺ فى حكم مقالته، متعللا بخجله وعدم استطاعته مواجهة النبى فى ذلك، فكان على هذه الزوجة المسكينة التى أتتها المصائب من كل صوب وحدب، ما كان منها إلا أن حملت قضيتها فى يدها، وليست خولة فى هذا الخطب وَحْدَها، فكثيراً ما نواجه فى هذا الزمن رجالا يحلفون بالطلاق، ويظاهرون، ويتركون المرأة تبحث عن حل لهذه المعضلات، وربما تتردد إحداهن بسؤالها على أكثر من فقيه تستفتيه؟!! فما إن وصلت تلك الزوجة الصابرة إلى رسول الله ﷺ حتى قامت بعرض شكواها: «يارسول الله: إن أوساً مَنْ قد عَرَفْتَ، أبو ولدى، وابن عمى، وأحبّ الناس إلىَّ، وقد عَرَفْتَ ما يصيبُه من اللَّمم، وعجز مقدرته، وضعف قوته، وَعَىٍّ لسانه، وأحقُّ من عاد عليه بشىء أنا إن وجدته، وأحق من عاد علىَّ بشىء إن وجده هو، وقد قال كلمة - والذى أنزل عليك الكتاب - ما ذكر طلاقًا، قال: أنت علىَّ كظهر أمى». فأطرق الرسول لحظة، ولكنه لم يجد لها حلا، فقال: «**ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليه**» فأخذت هذه المسكينة تجادل رسول الله وتراجعهُ مراراً مؤكدة له أن زوجها لم يقصد طلاقاً ولم يِرُدْهُ، فلما يئستْ من جدال النبى ﷺ ما كان منها إلا أن

رفعت بصرها إلى السماء ضارعة لربها: «اللهم إنى أشكو إليك شدة وجدى، وما شقَّ علىَّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج».

وما هى إلا لحظات حتى نزل الوحى على رسول الله ﷺ فلما سُرِّىَ عنه إذا به يبتسم، فقالت خولة: اللهم خيراً، فإنى لم أبغ من نبيك إلا خيراً. فقال لها النبى ﷺ: «**يا خولة: قد أنزل الله فيك وفيه قوله الكريم: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**»[1] ثم التفت النبى إليها وقال: «**مريه أن يعتق رقبة، فإن لم يجد فليصم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فليطعم ستين مسكينا**» فقالت خولة: إنه لايستطيع شيئا من ذلك، فقال لها النبى: مريه فليأت أمَّ المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر (نصف أردب بالكيل المصرى) فليتصدق به على ستين مسكيناً» وبهذا فقد فرج الله عن خولة بنت ثعلبة كربها، وعادت البسمة إلى وجهها، وسارت حياتها مع زوجها سيرة طيبة، وفرج الله عن الأمة الإسلامية بهذا البيان الذى جاء على يديها. فلله الحمد والمنة على كل ما يسديه لعباده من خير وكرم.

١٦- حديث شريف ينقذ لِصًّا

لقد خلق الله الزوجين : الذكر والأنثى، وجعل العلاقة بينهما علاقة تكاملية لا تصادمية؛ فكل منهما محتاج للآخر، ولا يستقيم حاله إلا فى وجوده، وحينما

(١) سورة المجادلة ، الآيات : ١-٤.

تدفع الأقدار المرأة لكى تعيش حياة الوحدة، فإن من أهم الكروب التى تنتابها فوق وحدتها ألا تكون فى مأمن من سطو الأشقياء المفتونين الذين استحوذ عليهم الشيطان فزين لهم طريق الجريمة.

ولقد طالعتنا كتب السنة أن امرأة صالحة كانت تسكن المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ وقد مات عنها زوجها، فترمَّلت على أطفالها، ترجو معونة الله على حسن تربيتهم، وقد حدث ذات ليلة أن سطا على منزلها أحد اللصوص، فأخذ يتجول فى رحابه ويجوس خلاله، حتى لقد دخل عليها حجرة نومها، وهى الوحيدة الضعيفة، ولكن هذا اللص قد خرج من المنزل بدون أن يأخذ منه شيئا أو يعبث بشىء من متاعه، فما كان من المرأة إلا أن أحست به، فألقى فى روعها أن هذه الزيارة كانت زيارة استكشاف واستطلاع، ولابد أنه يرتب لشر مستطير، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى النبى ﷺ عند فراغه من صلاة الصبح فى مسجده الجامع، وقصت عليه ما كان من أمرها، فما كان منه ﷺ إلا أن أشفق لحالها، ودعا الله لها قائلا: «**اللهم إن كان حاضراً معنا (أى إن كان هذا اللص حاضراً معنا) فاهده إلينا، ولا تُخْجِلْهُ منا**» فلم يكد الرسول ﷺ يتم دعاءه حتى تقدم إليه هذا اللص فى شجاعة نادرة فقال: هأنذا يارسول الله، فمر بما تشاء، إن نفسى قد تمردت على، وقادتنى إلى احتراف السرقة والسطو والإجرام، ولكنى كنت مع هذا ألازم الصلاة معك، وأحياناً أستمع إلى شىء من العلم الذى تعلمه الناس، وفى اليوم السابق على ليلة سطوى على منزل هذه المرأة، استمعت إليك وأنت تقول: «**والذى نفس محمد بيده ما ترك عبد شيئاً حرمه الله عليه إلا منحه الله له فى الحلال**»، فكنت كلما تجولت فى بيتها ووجدت شيئاً من طعام أو شراب أو مال وقفت أمامه حائراً، ثم أتركه طمعاً فى نواله فى الحلال، وأخيرا انصرفت وحضرت الصلاة معك، فتبسم النبى ﷺ وقال له: ألك زوجة؟ فقال: لا، لقد ماتت زوجتى منذ عدة شهور، ثم سأل المرأة: ألكِ زوج؟ فقالت: لازوج لى يارسول الله، فقد مات منذ سنين، وخلَّف لى أطفالا صغاراً أقوم على تربيتهم، فزوجها النبى ﷺ هذا الرجل وقال

لأصحابه: أشهد أنى عبد الله ورسوله، وأشهد أن وعده حق، واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] ولم تطلع الشمس إلا وقد متع الله كلا منهما بالآخر فى الحلال.

ولقد جاء تفريج هذه الكروب جميعاً ببركة رسول الله ﷺ أولا، وببركة حسن توجه هذه المرأة وصلاحها، وأخيراً ببركة ملازمة هذا الرجل للصلاة خلف رسول الله ﷺ وسماعه العلم النافع، وإن كانت ثمرة ذلك كله بالنسبة له قد جاءت بعد حين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الْصَلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]، كما بين رسول الله ﷺ ذلك المعنى حينما سئل عن رجل يصلى ولكنه لا ينتهى عن الفحشاء والمنكر، فقال: «**ستنهاه صلاته يوماً عن الفحشاء والمنكر**». فإلى كل من تمردت عليه نفسه، وجمحت به، عليه أن يلجأ إلى الله بأن يرفع عنه معاناته، وأن ينفعه بهذا الدين القويم، الذى جاءنا به سيد المرسلين ﷺ فبه الهداية، ومنه التوفيق.

١٧- تفريج كرب إفساد الزوجة على زوجها

من المخاطر الاجتماعية التى تحدث فى محيط الأسرة، والتى يقع فيها كثير من الناس إلا من رحم الله: خطر إفساد الزوجة على زوجها، أو إفساد الأبناء على آبائهم، وذلك عن طريق توجيههم إلى أمور تجر عليهم المتاعب التى هم فى غنى عنها، فكثيراً ما نجد أسرة من الأسر التى تعيش عيشة سعيدة بالرغم من رقة الحال التى هى فيها، وذلك بفضل القناعة التى أودعها الله قلوب أفرادها، وبفضل ما يصرفه عنها من التطلع إلى ما فى أيدى الغير، فيعيشون حياة هانئة

(١) سورة النجم: ١ - ٤.
(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

رتيبة، ينظر كل فرد فيها إلى ما هو فيه من سعادة فيرى كأن الدنيا قد حيزت له بحذافيرها، وفجأة تهب رياح التدمير والتغيير، كنوع من الاستجابة لنصيحة مغْرض أو واشٍ، فلا يلبث ذلك الهدوء والرضا والقناعة أن يتحول إلى سخط وتمرد وضجر، فإن لم تتدارك هذه الأسرة رحمة الله وفضله، ويمسحها ربها بجناح من عطفه، فإنها تتحول إلى أسرة من الأشقياء التعساء.

ولقد تعرض التابعى الصالح «أبو مسلم الخولانى» إلى واحد من هذه الكروب الأسرية، وهو من هو ورعا وزهداً وصلاحاً، واستجابة دعاء، فقد أخرج ابن أبى الدنيا بسنده: «أن أبا مسلم الخولانى كانت له زوجة صالحة، وكانت حياته معها تسير سيرة طيبة، تليق ببيت رجل قريب من الله، مستجاب الدعاء، وكان تصرفه معها تصرفا مثاليا يحتذى، فكان إذا دخل منزله سلَّم ائتماراً بأمر الله إذ يقول: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1]، فإذا بلغ وسط الدار كبر، فلا تلبث امرأته أن تكبر بتكبيره، فيدخل أبو مسلم، فينزع رداءه وحذاءه، وتأتيه زوجه بطعام، فيأكل ويحمد الله.

وقد شاءت الأقدار لهذا البيت أن تتلبد غيومه، وأن تلوح علامات التمرد على هذه المعيشة المتواضعة، فدخل أبو مسلم ذات ليلة، فسلم وكبر كعادته، فلم تجبه زوجته، لا برد سلام ولا تنكت به، وإذا به يجد البيت مظلما ليس فيه سراج، وإذا بامرأته جالسة بيدها عود تنكت به الأرض، فسألها عن حالها، فقالت: الناس بخير (أى فى معيشة رغدة)، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية بن أبى سفيان وسألته فيأمر لنا بخادم، ويعطيك شيئا من المال نوسع به على أنفسنا؟!

وهنا أدرك أبو مسلم أن وراء هذا التغير وشاية واش، أو حديث خبيث، فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم من أفسد علىَّ أهلى فَأعْمِ بصره» وكانت جارة لهم قد أتت إلى زوجة أبى مسلم وأفهمتها ما قالته لزوجها،

(١) سورة النور: ٦١.

فبينما هذه المرأة فى منزلها والسراج يزهر (يضىء)، إذ أنكرت بصرها، وقالت: طفىء السراج؟ فقالوا لها: لم يطفأ السراج. فعلمت أن بصرها قد كُفَّ، فأقبلت كما هى على أبى مسلم، فلم تزل تناشده الله، وتطلب إليه أن يعفو عنها، فما كان منه إلا أن توجه إلى الله ضارعاً، داعيا، وقال: «اللهم إن كانت صادقة فى توبتها فرد عليها بصرها» فرد الله عليها بصرها فى الحال، وهنا أدركت زوجته أنها مخطئة فى تصرفها، فتابت إلى الله متاباً، وعاد الهدوء والاستقرار إلى بيت أبى مسلم.

فإلى كل من تسول له نفسه - من ذكر أو أنثى - أن يقتحم على الناس قناعاتهم بغرض الإفساد والتمرد على هذه القناعات نقول: تب إلى الله متابا، واحذر دعاء الصالحين، وإلا فاحذر دعوة مظلوم أو مكلوم، فهناك من عباد الله الأتقياء الأصفياء، فالله قد أخفى العبد الصالح بين الناس، ولله فى خلقه شئون يبديها ولا يبتديها، واحذر عقاب الله فى قوله: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1].

١٨- تفريج كرب صَبْوَةِ الشباب

إن الشباب فى كل أمة هم أملها فى غدها المرتقب، وعُدَّتها التى تواجه بها تحديات الحياة، فى السعى والعمل، والذود عن الأهل والوطن، وقد حظى الشباب من رسول الله ﷺ بكل العناية والرعاية؛ لما رأى فيهم من رقة القلوب ولين الأفئدة، فقد أوصى بهم خيراً فى كثير من توجيهاته الحكيمة، فهو القائل: «**استوصوا بالشباب خيراً**»؛ حتى إن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا إذا دخل عليهم الشباب هشوا فى وجوههم وبَشُّوا لهم، وقالوا: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ...

ومما لاشك فيه أن للشباب مشاكلهم الخاصة بهم، وكروبهم التى ربما تستبد بهم فى بعض الأحيان، ففيهم من القوة والفتوة والحيوية ما يُعنِتُهُمْ، ولقد كانت

(١) سورة الأنعام: ٤٤، ٤٥.

حكمة النبى ﷺ فى تخفيف أزماتهم، ومحاولاته لتفريج كروبهم أمثلة تحتذى، فقد كان رائده فى ذلك كله الرفق والرحمة بهم، وبذل الموعظة الحسنة لهم، ونسوق لك أيها القارىء العزيز نموذجا من معاملاته الرحيمة، يتجلى لنا من خلاله هذا الأسلوب الحكيم، والعمل على تفريج كروب صبوة الشباب، واستحكام سلطان الشهوة على نفوسهم.

لقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده قصة شاب مسلم وقع فى شدة وضيق وحرج، فقد كان ذا صَبْوة تُلح عليه، حتى لقد شكلت له كربا شديداً، فعن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن فتى شابًّا أتى النبىَّ ﷺ فقال: يارسول الله: ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم فزجروه، وقالوا له: مه (أى ما هذا الذى تقوله، وما هذا الذى تطلبه فى حضرة النبى ﷺ؟) فقال ﷺ: «**ادنُهْ**» أى تعال، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال النبى ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا، جعلنى الله فداءك، قال النبى ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا، والله يارسول الله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال أبو أمامة: فوضع النبى ﷺ يده عليه وقال له: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**» فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك إلى شىء من هذا الذى هَمَّ باستئذان النبى ﷺ فيه.

فنحن نجد من هذا الحوار الذى دار بين النبى ﷺ وبين هذا الفتى النموذج الأسمى للديمقراطية الحقة، فإذا كان الصحابة قد أنكروا على هذا الفتى مجرد الجهر بهذا السؤال، وهو سؤال مستنكر مستغرب على كل حال، فإن رسول الله ﷺ قد اتسع صدره لكى يضرب لهم المثل فى الحوار الهادىء والهادف معاً،

فقد قربه منه وأدناه، حتى لا يتشتت فكره، ولا يختلط عليه أمره، وأطال معه النقاش حتى ينفره من الزنا عقلا وطبعا وشرعاً، فهو يستثير فيه عوامل النخوة والشهامة؛ لأنه إذا لم يكن يحب هذا الأمر، أو يرضاه لأحد من محارمه، كأمه وابنته وعمته وخالته وأخته، فليعلم أنه إن زنى فإنما يزنى بمحارم غيره، والناس يكرهون هذا الفعل لذويهم، وهذا أمر مذموم شرعاً وطبعاً، فلما حصل النبى ﷺ منه على هذه القناعات الفطرية، بأسلوبه الدَّعَوِىِّ الآسر، ما كان منه إلا أن نفحه دعوة كريمة استلت من نفسه حرارة تلك الصبوة المحرمة، وهى دعوة نبوية كريمة، تمثل فيها تفريج كرب هذا الفتى، وهى دعوة ترتكز على ثلاثة أسس، أحدها: أن يغفر الله لهذا الفتى ذنبه، فقد هم بالاستئذان فى معصية، بعد أن حدثته نفسه بها، والثانى: أن يطهر الله قلبه من هواجس الشر جميعاً، والثالث: أن يحصن الله فرجه، وأن يحفظه من كل خطأ وريبة.

نزلت هذه الدعوة الكريمة على هذا الجسد الفائر الثائر، فكانت برداً وسلاماً، فسرت فى كيانه، فما لبثت أن أعادت ترتيب وجدانه على أساس من الطهر والعفاف، وغفران الذنوب، وطهارة القلب، وتحصين الفرج، فلم يكن ذلك الفتى يلتفت بعد ذلك إلى شىء من هذه السفاسف والرذائل.

وهذه الواقعة تشكل لنا أحد مناهج التعامل مع الشباب، حتى فى مثل هذه القضايا الحرجة التى لايمكن لعاقل أن يطلب الإذن بها من صاحب الشريعة ﷺ فهذه من الأمور المنكرة شرعاً وطبعا وعرفا، حتى فى المجتمعات والأوساط التى تمتلك عقولا سليمة، وإن كانت لاتدين بدين، ولا أدل على ذلك مما ورد فى قصة يوسف - عليه السلام - مع امرأة عزيز مصر، يوم أن سرى خبر مراودتها إياه عن نفسه فى الأوساط النسائية، فما كان من هؤلاء النسوة إلا أن قلن فى استنكار واستغراب ما حكاه القرآن الكريم عنهن: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[1] فانظر إلى تَعْقِيبِهِنّ على ذلك ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[1] إن منهج

(١) سورة يوسف : ٣٠.

رسول الله ﷺ فى هذا الشأن منهج يرد الشارد إلى صوابه، ويعيد من تعبث به الشياطين إلى حظيرة الحق، فلنتق الله فى شبابنا حتى ننتشلهم من سعار المادة التى تأتى على الأخضر واليابس، ولْنُضَمِّنْ برامج الحوار معهم هذه النماذج الصادقة، حتى يترسموا هذه الخطى الخيرة، ولنكف عنهم كل عوامل الإثارة والفتنة التى تحرفهم وتجرفهم، فإنهم أمانة فى أيدى الأمة، وفى أيدى الآباء والمربين، وسائر قطاعات المسئولين.

١٩- من كروب الشباب عقوق الوالدين

إن عقوق الوالدين يمثل ويشكل أحد الكروب الخطيرة التى تلحق ببعض الأبناء من الشباب، ويزداد خطر العقوق والتمادى فيه حينما يكون الوالدان أو كلاهما صالحيْن صابريْن، ويبلغ الأمر ذروته، والمصاب غايته، حينما ينفد صبر الآباء، فيستغيثون بالله، ويسلطون على العاق سيف الدعاء إلى الله، ونحن فى هذا الصدد نقدم نموذجاً من هذه النماذج لكل فتى وفتاة، لكل شاب وشابة، أن يحذروا العقوق، وأن يلتزموا السمع والطاعة، فهذه قصة شاب بلغ فى عقوق والده الغاية، وأشرف فى ذلك على النهاية، ولم تأخذه بوالده رحمة فأشبعه ضرباً، حتى استثار حفيظته فدعا الله عليه، وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستجاب الله، فكيف تم تفريج هذا الكرب؟

بينما أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يطوف بالكعبة المشرفة ليلا، ومعه ابنه الحسين - رضى الله عنه - إذ به يسمع رجلا بالمطاف يردد أبياتاً من الشعر تدل على شدة ضيقه وبالغ كربه، فكان يقول بصوت حزين متهدج:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حى ياقيوم لم تنم

هب لى بجودك ما أخطأت من حُرَمٍ ... يا من يجود على العاصين بالنعم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سفهٍ ... فمن يجود على العاصين بالكرم؟

فالتفت الإمام على إلى ابنه الحسين، وقد أحزنه قول الرجل وآلمه بكاؤه، وقال لابنه: أما تسمع النادب ذنبه، والمعاتب ربه؟ امض إليه فَأْتِنى به، فأسرع الحسين فى خطاه حتى أدركه، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلما جلس بين يديه إذا هو رجل جميل الوجه، نَقِيُّ البَدن، نظيف الثياب، طيب الريح، إلا أنه قد شل جنبه الأيمن، فلا يمشى إلا ثقيلاً متباطئًا، فأخذ الإمام على يلاطفه، ثم سأله عن شأنه وقصته، وعن شكاته التى تنم عن كرب شديد لحق به، وحزن عميق ألم به، فقال له: شأنى شأن من أخذ بالعقوبة لعقوق والديه، فقد كنت مشهوراً باللهو والفسق والمجون، وكان والدى لين الجانب، رقيق القلب، كثير الرحمة والشفقة بى، وكان دائم النصح لى، ولكنى كنت أعصيه، وأسخر منه ومن نصحه، إلى حد أننى قمت إليه فى بعض الليالى وضربته ضربا مبرحا، وكلما ألحَّ علىَّ فى نصحه بالغت فى ضربه وإهانته، فلما يئس من برى له، ومن طاعتى لأمره، قال: والله لأصومن ولا أفطر، ولأقومن الليل ولا أنام، ولأدعون عليك ربى، وقد واصل صيامه وقيامه حتى جاء موسم الحج، فتوجه إلى بيت الله الحرام حاجًّا، وقال: والله لأفدَن إلى بيت الله، ولأستعدين الله عليك، وفى ليلة عرفة تعلق بأستار الكعبة، وجعل يجأر بالبكاء ويقول:

يا من إليه أتى الحجاج من بُعُد ... يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذى منازل ما قد خاب قاصدها ... فخذ بحقىَ يارحمان من ولدى
وَشُلَّ منه بجود منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد

فوالذى رفع السماء، وأنبع الماء، ما أتم دعاءه حتى شُل جانبى الأيمن، وظللت كالخشبة الملقاة بأرجاء الحرم، ثم خرجت فى طلبه أترَضَّاه فلم أدركه إلا بعد أن أتم دعاءه[1]، وهو متعلق بأستار الكعبة، وقد حدث من الأمر ما حدث، وكان الناس يقولون عنى: هذا الذى أجاب الله فيه دعاء أبيه، ومازلت به أحاول أن أترضاه حتى وعد خيراً، ولكن فى موسم الحج القادم، ولكن المنية أدركته قبل أن يفد إلى الحرم ثانية، قال ذلك الفتى: ومنذ ذلك الحين وأنا

(١) وهذا يدل على أن الرجل وولده كانا من سكان مكة.

أتحامل على نفسى وأحج بيت الله وأسأله المغفرة والعفو والصفح والمعافاة من هذا البلاء.

فرق الإمام علىٌّ لحاله وقال له: إن شئت أن يعافيك الله مما أنت فيه فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت:

«اللهم إنى أسألك يا عالم كل خفية، ويا من السماءُ بقدرته مبنية، ويا من الأرض بعزته مدحوَّة، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة ومضيئة، يا مقبلا على كل نفس مؤمنة زكية، يامُسَكِّنَ رعب الخائفين وأهل التقية، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من نجى يوسف من رق العبودية، يا من ليس له بواب ينادى، ولا صاحب يفشى سره، ولا غيره رب يُدعى، ولايزداد على كثرة الحوائج إلا كرماً وجوداً، أعطنى سؤلى إنك على كل شىء قدير» وقال له: تمسك بهذا فإنه كنز من كنوز العرش.

فقالها الفتى مراراً، وواظب عليها بصدق وإخلاص، فاستجاب الله دعاءه، وأزال عنه بلاءه، حتى إن الإمام عليا ليقول: لقد رأيته سليما معافى كأن لم يكن به سوء. وبهذا فرَّج الله كربه، وأذهب عنه همه وغمه.

إنها صورة واقعية، تبين لنا ما يفعله العقوق بصاحبه، كما تبين لنا أهمية الإخلاص فى الدعاء، وقبول النصيحة من الأتقياء، فاحذر أيها الشاب، واحذرى أيتها الفتاة، احذروا أن ينزلق أى منكم إلى هذا المنعطف الخطير، منعطف عقوق الوالدين، تحت أى دعوى وأى مسمى، من دعاوى ومسميات التغريب، واجتثات الفروع عن الأصول، فإن الأمر جد لا هزل فيه، وقد أخبرنا حبيبنا سيدنا محمد ﷺ أن دعوة الوالد على ولده سريعة الاستجابة.

فاحفظنا اللهم من مصيبة العقوق، واجعلنا من الأبرار الأخيار، ياعزيز ياغفار.

٢٠- تفريج كرب مَازِن بن الغَضُوبَة

مازن بن الغضوبة رجل من أهل عمان، وقد نزلت به شدة جاء تفريجها على يدى رسول الله ﷺ فقد روى الطبرانى عن مازن بن الغضوبة قال: كنت أسْدن صنما (أى أخدم صنما) يقال له (باحر) بقرية بعمان يقال لها (سمائل) فَعَتَرْنا ذات يوم عنده عتيرة (أى : ذبحنا عند هذا الصنم ذبيحة) فسمعت صوتا من الصنم يقول:

يامازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر بدين الله الأكبر
فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر

قال: ففزعت لذلك، وقلت: إن هذا لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة، فسمعت صوتا من الصنم يقول:

أقبل إلىَّ أقبل تسمع ما لا تجهل
هذا نبى مرسل جاء بحق مُنْزَل
فآمِنْ به كى تعدل عن حر نارٍ تشتعل
وقودا بالجندل

فقلت: إن هذا لعجب، وإنه لخير يراد بنا، فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من الحجاز، فقلت: ما الخبر؟ فقال: ظهر رجل يقال له أحمد، يقول لمن أتاه: «أجيبوا داعى الله» قلت: هذا نبأ ما قد سمعت، فسرت إلى الصنم فكسرته أجذاذاً، وركبت راحلتى، فقدمت على رسول الله ﷺ فشرح لى الإسلام، فأسلمت وقلت:

كسرت باحراً جذاذا وكان لنا ربا نُطيفُ به عميا لضلاَّل
بالهاشمى هدينا من ضلالتنا ولم يكن دينه مِنِّى على بال

يا راكـبا بلغـنْ عمـراً وإخوتـــه وإنـى لِمَـنْ قَـالَ: ربـى باحـر، قَـالِ

يعنى عمرو بن الصلت وإخوته بنى خطامه.

قال مازن: فقلت: يارسول الله : إنى امرؤ مولع بالطرب، وبشرب الخمر، وبالهلوك، (قال ابن الكلبى: والهلوك الفاجرة من النساء)، وألحت على السنون، فأذهبت الأموال، وأهزلت الذرارى والعيال، وليس لى ولد، فقال النبىﷺ : «**اللهم بدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالعُهْرعفة الفرج، وبالخمر ريا لا إثم فيه، وائته بالحيا (النماء)، وهب له ولداً**».

قال مازن: فأذهب الله عنى ما كنت أجد، وأتانا الحيا، وتعلمت شطر القرآن، وحججت، ووهب الله لى حبان بن مازن، وأنشأ يقول:

إليك يارسول الله خَبَّتْ مطيتى تجوب الفيافى من عمان إلى الْعَرْجِ
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصى فيغفر لى ربى فأرجع يا لُفَلْجِ
إلى معشر خالفت والله دينهم فلا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى
وكنت امرأً بالطرب والخمر مولعا شبابى حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفاً وخشية وبالعهر إحصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فللـه صومـى وللـه حجـى